الدراسات التاريخية من خلال مشروع العلاقات بين المغرب الإسلامي ودول الغرب المسيحي المتوسطي 1492-1830م لطلبة ما بعد التدرج قسم التاريخ بجامعة غرداية (2008-2012م)

د/ إبراهيم سعيود

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

إن منطقة المغرب الإسلامي مفتوحة على العديد من التيارات المتوسطية المختلفة، وعلى الرغم من ذلك فإنها تتميز بالوحدة الحضارية والطبيعية.

والتركيز على موضوع العلاقات بين المغرب الإسلامي ودول الحوض الغربي المتوسطي لأوروبا هام جدا بحكم أنه يجعل المنطقة تنفرد بمجموعة من العلاقات والمؤثرات.

وهذه العلاقات المميزة أثارت العديد من الإشكالات التي يمكن طرحها للدراسة والبحث لأن أهمية الموضوع المراد بحثه يمثل نوعا من الخروج على المألوف، وهو دراسة الجوانب المختلفة للعهد العثماني في منطقة المغرب الإسلامي.

كما أن علاقات المغرب الإسلامي مع الدول الأوروبية ولا سيما المتوسطية، لم تدرس من وجهة النظر المغاربية دراسة علمية وافية، إضافة إلى هذا فإن المادة الوثائقية متوفرة جزئيا ويمكن تشجيع الطلبة على جمعها من دور الأرشيف المختلفة في الدول الأوروبية المعنية ببحث العلاقات معها، والتي قضت أشواطا كبيرة في تنظيم أرشيفاتها تنظيما يساعد على البحث فيها. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فقد تخرجت من جامعة غرداية الدفعة الأولى في تخصص تاريخ في جوان 2008 مما استدعى فتح باب الدراسات العليا للمتخرجين، ناهيك عن الوعود التي قدمت للطلبة غداة فتح شعبة التاريخ في المركز الجامعي غرداية قبل أربعة سنوات من التاريخ المذكور آنفا إضافة إلى وفرة التأطير من داخل المركز الجامعي ومن خارجه، فقدمت جامعة الجزائر خبرتها وأساتذتها الذين التزموا بتدريس مجموعة من المقاييس، والإشراف على العديد من طلبة ما بعد التدرج، وقد

أثمرت تلك المجهودات، إنجاز أبحاث في العلاقات بين المغرب الإسلامي ودول الغرب المسيحي المتوسطي خلال الفترة الحديثة، نورد بعضها فيما يلي.

الدراسات والأبحاث المنجزة

- علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي[1]

استهلّ صاحب البحث، موضوع بحثه بالحديث عن التطورات والتغيرات التي شهدها البحر المتوسط خلال القرنين العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي، وتداعياتها على الدول المطلّة على هذا البحر.

وبحسب رأي الباحث فقد شكّلت العلاقات بين إسبانيا والإيالات العثمانية في غرب المتوسط مرحلة هامة من تاريخ العلاقات بين بلدان المغرب الإسلامي وإسبانيا، إلى درجة أن بعض المصادر تصف القرن السادس عشر؛ بقرن الصراع الإسلامي مع إسبانيا المسيحية في حوض البحر المتوسط، خاصة في جزئه الغربي.

تطرّق صاحب الموضوع إلى مميزات العلاقات بين الضفتين خلال القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي، وهي علاقات عدائية حركتها دوافع مختلفة؛ دينية واقتصادية واستراتيجية وأمنية.

عرض الباحث، إشكالية الموضوع من خلال عرض الأوضاع التي تحكّمت في العلاقات بين الإيالات العثمانية في غرب المتوسط وإسبانيا خلال القرن 10ه/16م، وكذلك مميزات ومظاهر تلك العلاقات، وآثارها وانعكاساتها على الطرفين.

تعرض الباحث من خلال فصول بحثه، إلى الأوضاع السياسية التي ميّزت الضفة الشمالية للبحر المتوسط، والقوى السياسية التي لعبت دورا في العلاقات؛ هذه القوى هي: إسبانيا التي خصّها بجزء كبير من بحثه باعتبارها طرفا أساسيا في العلاقات، إضافة إلى إسبانيا تطرّق صاحب البحث إلى البرتغال، وفرنسا، هذه الأخيرة ساهمت في إحداث نوع من التوازن في العلاقات بين الضفتين، وكذلك جمهورية البندقية، وجمهورية جنوى من شبه الجزيرة الإيطالية.

وخصص الباحث مبحثا للأوضاع السياسية التي ميّزت دول الضفة الجنوبية للبحر المتوسط في جزئه الغربي، هذه الأوضاع التي ميّزها الضعف والانقسام

والتجزؤ وعدم الاستقرار السياسي، هذه المنطقة التي ستكون محورا أساسيا في العلاقات.

وخصص الباحث فصلا للعلاقات بين الجزائر وإسبانيا من بداية القرن السادس عشر إلى سنة 1610، مستهلا حديثه عن مميزات العلاقات قبل 1520، وتطرق من خلال المبحث الثاني إلى العلاقات بين الجزائر وإسبانيا خلال الفترة الممتدة من سنة 1520 إلى 1558، أي منذ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية، وشروعها في عمليات التحرير من الإسبان، إلى فشل المشروع الاحتلالي الإسباني سنة 1558، بمقتل الكونت دالكوديت. ثم تلتها مرحلة جديدة امتدت إلى سنة 1610، والتي أطلق عليها الباحث مرحلة الانحسار والتراجع الإسباني، كما تطرّق إلى مساهمة الجزائر في تثبيت الوجود العثماني في غرب المتوسط.

أما في الفصلين الثالث والرابع، فقد تناول الباحث العلاقات بين طرابلس وإسبانيا خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، هذا من جهة والعلاقات بين تونس وإسبانيا من جهة أخرى خلال نفس الفترة أيضا. فبالنسبة لطرابلس فقد خصص الباحث للموضوع مبحثان؛ تناول في الأول الاحتلال الإسباني لطرابلس سنة 1510م، ثم تسليمها لفرسان مالطة سنة 1530م، واستمرار المقاومة حتى منتصف القرن السادس عشر، وفي المبحث الثاني تطرّق إلى الفتح العثماني لطرابلس وتحريرها نهائيا من الاحتلال.

وتناول الباحث في الفصل الرابع العلاقات بين تونس وإسبانيا منذ فترة ما قبل 1535م، والتي ذكر الباحث أنها تميزت بالتبعية غير المباشرة لإسبانيا التي احتلّت بعض الموانئ الحفصية، ثم تطرّق للعلاقات خلال الفترة الممتدة من سنة 1535 إلى 1574م، أي مرحلة الاحتلال الإسباني لتونس بعد حملة شارلكان. وخصص المبحث الأخير للعلاقات بين سنتي 1574 إلى سنة 1610، وتطرق في هذا المبحث إلى حملة علج علي حاكم الجزائر، لتحرير تونس سنة 1559م، ثم الحملة الإسبانية بقيادة دون جوان سنة 1773، لإعادة تثبيت التواجد الإسباني، لتنتهي المرحلة بعثمنة تونس نهائيا سنة 1574م، ثم تناول العلاقات بعد أن أصبحت تونس إيالة عثمانية.

توصل الباحث في خاتمة بحثه إلى بعض النتائج ذات الصلة بموضوع بحثه، وقد لخصها فيما يلي:

– أن الوضع الدولي الذي ساد حوض البحر المتوسط خلال القرن العاشر هجري، السادس عشر ميلادي، كان سببا مباشرا في حدوث ذلك الاحتكاك بين الضفتين.

– تسببت الأوضاع التي كانت عليها دول المغرب الإسلامي في بداية القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، في ازدياد الأطماع الإسبانية في المنطقة.

– تأرجحت العلاقات بين الإيالات العثمانية في المغرب الإسلامي وإسبانيا بين الحرب تارة، والسلم تارة أخرى.

– غذّت النزعة الدينية، العلاقات بين الطرفين، الأمر الذي أدى إلى التعصب الديني.

– تعرّضت منطقة المغرب الإسلامي إلى الحملات المتكررة، قابلها تصدي رسمي وشعبي، فكثرت بذلك الرباطات، أو الرّبط على سواحل المغرب الإسلامي.

– ارتبطت علاقات الضفة الجنوبية، والضفة الشمالية للبحر المتوسط، بالصراع الإسلامي المسيحي من جهة، والقرصنة المتوسطية من جهة أخرى.

– العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر وإسبانيا (1200هـ-1786م/1245هـ-1830م)[2]

تناول صاحب هذا الموضوع إشكالية العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر وإسبانيا من الثلث الأخير للقرن الثامن عشر إلى الثلث الأول من القرن التاسع عشر، منطلقا من سنة 1786م، حيث توجت بإبرام معاهدة ساهمت في إقرار السلم والاستقرار في الحوض الغربي للبحر المتوسط، اكملها الطرفان الجزائري والإسباني بمعاهدة ثانية؛ هي معاهدة وهران لعام 1791م، التي كان من أهم نتائجها تحرير وهران والمرسى الكبير من يد الإسبان.

يذكر الباحث في سياق حديثه، أن العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر وإسبانيا خلال الفترة الممتدة من سنة 1786وإلى سنة 1830م؛ قد تأثرت بجملة من العوامل والظروف المحلّية على مستوى البلدين والدولية على مستوى

البحر المتوسط، لعلّ من أبرزها الحروب النابوليونية، كذلك مسألة القرصنة والأسرى، وغيرها.

حاول الباحث الإجابة على مجموعة من التساؤلات شكلت في مجموعها جوهر الموضوع، وذلك من خلال البحث عن الدوافع الحقيقية التي كانت وراء التحول في العلاقات بين البلدين من خلال معاهدة 1786م؟ ثم ما الذي ترتّب عن حالة التقارب بين البلدين سياسيا وتجاريا؟ ثم ختم تساؤلاته عن المسائل والقضايا التي أثرت في مسار العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر وإسبانيا؟

اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

تناول الباحث في الفصل الأول أوضاع الجزائر وإسبانيا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وقد مهّد بهذا الفصل لموضوع بحثه بالحديث عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تناول فيه الحملات الإسبانية على الجزائر، فتعرّض لحملة الكونت أورييللي على مدينة الجزائر سنة 1775، مبرزا طموحات الملك الإسباني كارلوس الثالث، لتحقيق ما عجز عنه أسلافه، وفي مقدمتهم شارل الخامس سنة 1541م، إضافة إلى رغبة إسبانيا في التعويض عن هزائمها في القارّة الأوروبية في حرب السبع سنوات (1756-1763م)، كما تطرّق الباحث إلى حملة دون أنطونيو بارسيللو الأولى على مدينة الجزائر سنة 1783م، والثانية سنة 1784م، والتي تشكلت من القوات الإسبانية، إضافة إلى قوات من البرتغال، وجنوى، وتوسكانيا، وفرسان مالطة، وقوات من البحرية البابوية.

أما في الفصل الثاني من هذه الدراسة، فقد تطرّق فيه الباحث إلى العلاقات السياسية بين الجزائر وإسبانيا، فتناول في المبحث الأول معاهدة 1786م، مبرزا عوامل التقارب الجزائري الإسباني، وسير المفاوضات، ومحتوى المعاهدة، والمسائل الخلافية بعد إقرار المعاهدة.

أما في المبحث الثاني من هذا الفصل، فتطرّق إلى معاهدة 1791م وجلاء الإسبان عن وهران والمرسى الكبير، ذاكرا دوافع الانسحاب، وكيف تطور الصراع، ثم معاهدة 1791 ببنودهاوختم الفصل بالحديث عن المسائل المؤثرة في العلاقات كالقرصنة، وجوازات السفر، والديون، والأسرى، والتمثيل الدبلوماسي، وقضايا التعاون المشترك.

وفي الفصل الثالث، تناول الباحث بالتحليل؛ العلاقات التجارية بين الجزائر وإسبانيا خلال الفترة الممتدة من سنة 1786 وإلى سنة 1830م. ركّز صاحب البحث على مؤسسات التبادل التجاري، وطرق وأساليب النشاط التجاري، وكذلك المبادلات التجارية، وحركة النقل وموانئ التبادل.

والجدير بالذكر أن من بين أهم المؤسسات التجارية التي زاولت نشاطها بمختلف الموانئ الجزائرية؛ شركة قويناش وريقال (Goyeneche & Regal) وشركة كمبانا (Campana) وشركة كاريغو (Carrigo) وشركة باترون (Patron) إضافة إلى شركة لصيد المرجان، وأما فيما يخص طرق وأساليب التجارة؛ فذكر الباحث أن النشاط الدبلوماسي لعب دورا بارزا في احتكار التجارة، من خلال الوساطة التي كان يقوم بها بعض القناصل، ونوابهم لصالح بعض التجّار، أو بعض الشركات، مثلما فعل نائب القنصل الإسباني ميقال دي لاريا لصالح شركة قويناش حيث تدخّل لدى الداي فتحصّلت بذلك شركة (قويناش) على 60 ألف كيلة من الحبوب من بايلك معسكر سنة 1790م، وفي عام 1799 تحصّل التاجر اليهودي بكري على 10 آلاف كيلة بوساطة من القنصل دي لاريا، كانت موجهة إلى إسبانيا، وهذا حتى لا تدفع إسبانيا الضريبة على الربح، لأن الداي أعفى اليهود من هذه الضريبة.

وأما فيما يخص المبادلات، فقد احتلّت الحبوب، وفي مقدمتها القمح مكانة كبيرة، فأغلب المفاوضات مع الإيالة كانت تتم حول التزويد بالحبوب.

أورد الباحث في المبحث الخاص بالمبادلات، رسما بيانيا في شكل أعمدة بيانية لصادرات الجزائر من الحبوب من 1787 إلى 1813، واتضح من خلال الرسم البياني أن سنوات 1788و1790و1791و1792و1793و1794 قد شهدت ارتفاعا كبيرا في صادرات الحبوب.

وفي خاتمة بحثه، توصل الباحث إلى جملة من الملاحظات والنتائج حصرها فيما يلي.

- أن معاهدة 1786م وضعت حدّا لحالة التوتر والعداء بين الجزائر وإسبانيا.

- بفضل معاهدة 1786م، طلبت إسبانيا من الجزائر أن تتوسط لها لإبرام معاهدة سلام مع إيالة تونس، وتمّ ذلك في سنة 1791م.

- حذت الدول المسيحية حذو إسبانيا، في طلب السلم مع الجزائر حفاظا على مصالحها في حوض البحر المتوسط، فأبرمت البرتغال معاهدة سلم مع الجزائر سنة 1793م، كما أبرمت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة مماثلة سنة 1795م.

- توجهت الجزائر بعد إبرام معاهدة 1786م، نحو دبلوماسية إحداث توازن بين مصالح الدول الأوروبية الكبرى، وفي مقدمتها فرنسا، وإسبانيا، وإنجلترا.

- ساهمت عودة العلاقات السياسية بين الجزائر وإسبانيا، في تسهيل المساعي لتبادل الأسرى بشكل واسع.

- انعكس الانفراج الدبلوماسي بين البلدين بشكل إيجابي على العلاقات التجارية، فتمكنت بذلك الشركات الإسبانية من الحصول على امتيازات، منها امتياز صيد المرجان، وأدى ذلك إلى رواج استعمال العملة الإسبانية في الجزائر.

- شهد النشاط البحري الجزائري تراجعا في الفترة التي تلت المعاهدة، فهناك من اعتبر أن معاهدة 1786م مثلت نهاية عهد القرصنة الجزائرية ضد إسبانيا

- يفسر تطور العلاقات التجارية بين الجزائر وإسبانيا، بعد معاهدتي 1786و1791م، برغبة الجزائر في إيجاد جو تجاري تنافسي بين فرنسا وإسبانيا لإحداث توازن في العلاقات التجارية مع هذين البلدين.

- ساهمت المعاهدات المذكورة آنفا في توسيع الهيمنة الأجنبية على السوق الجزائرية، ما أدى بالشركات إلى العمل على استتراف المنتوجات الجزائرية.

- كرّست هذه المعاهدات سياسة وسلوك لدى بعض حكّام الجزائر، فشجّعوا الاستيراد مما سمح برواج المنتجات الأجنبية على حساب السلع المحلّية، فحال ذلك دون قيام صناعات محلّية.

- مثّلت بعض المواقف محكّا حقيقيا للعلاقات الجزائرية الإسبانية، وأثبتت أن الصلح عمره قصير، إذا ما وضع في كفة ميزان مع حقد دفين يعود إلى مئات السنين، ولهذا فإن فكرة العداء ظلت موجودة في نفوس الساسة الإسبان، وهذا ما بيّنه قبولهم تقديم التسهيلات والدعم المادي والمعنوي للفرنسيين حين أغاروا على

الجزائر سنة 1830م، بخلاف ما فعلته الجزائر من قبل، حين وقفت على الحياد عندما كانت إسبانيا تحت الاحتلال الفرنسي ما بين 1808و 1814.

– معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا –البرتغال–إسبانيا–فرنسا(986ه–1578م/1012ه–1603م)[3]

أوضح صاحب هذا الموضوع، أن معركة وادي المخازن أو الملوك الثلاثة، موضوع بحثه بلا ريب هي إحدى المعارك الفاصلة التي مثّلت حدّا فاصلا، بإعادتها رسم خريطة العلاقات الدولية، بسبب تداعياتها على منطقة غرب البحر المتوسط، وعلى المغرب الأقصى، وعلاقاته الدولية في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، بل امتدت آثارها لتشمل منطقة المغرب الإسلامي، وأوروبا المسيحية المتوسطية على السواء، كما أرّخت لحقبة جديدة من الصراع الإسلامي المسيحي في غرب البحر المتوسط.

انطلق الباحث من ثلاثة أسئلة رئيسية شكّلت في مجملها الإشكالية التي قام عليها موضوع بحثه.

أولها تمثل في حيثيات معركة وادي الخازن، وثانيها ما تعلّق بانعكاسات هذه المعركة على علاقات المغرب الأقصى مع دول غرب أوربا وفي مقدمتها البرتغال وإسبانيا وفرنسا، أما ثالث هذه الأسئلة فهو لماذا لم يستثمر المغرب هذا النصر في تحرير مدنه الساحلية؟

وللبحث في حيثيات معركة وادي الخازن، عاد الباحث إلى سنة 1568م، وهي السنة التي تزامنت مع ثورة الموريسكيين، هي نفسها السنة التي تمّ فيها تتويج سيباستيان ملكا على البرتغال، باسم سيباستيان الأول خلفا لجدته كاترينا.

شرع سيباستيان في إعداد حملة عسكرية لاحتلال المغرب، فشرع السلطان المغربي عبد الله الغالب في الاستعداد لمواجهة هذه الحملة

– العلاقات السياسية الجزائريـــة الإسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري/الثامن عشر ميلادي (1119–1206ه/1708–1792م)[4]

تعرض صاحب البحث إلى إشكالية العلاقات وتطورها بين الجزائر وإسبانيا، في المجال السياسي، وذلك من خلال طرح بعض التساؤلات.

ماهي الأسباب والعوامل التي أطالت الصراع الجزائري الإسباني خلال العهد العثماني؟

لماذا اعتبرت مدينة وهران، والمرسى الكبير، منطقتا شد وجذب بين الدولتين الجزائرية والإسبانية خلال القرن الثامن عشر؟

لماذا شنّت إسبانيا ثلاث حملات ضد مدينة الجزائر خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر؟

وهل تمكّن الطرفان الجزائري والإسباني من عقد معاهدة سلام بينهما، لتفادي المواجهات المتكررة؟

افتتح الباحث موضوعه بمقدمة، عرض فيها مجال الدراسة الزماني والمكاني، مبرزا التفاعلات التي حدثت، ثم تطرق إلى ظهور الإسبان في المنطقة، وكذلك إلى التواجد العثماني بالجزائر، وخلفيات الصراع الإسباني العثماني وتداعياته.

تناول الباحث قضية تحرير وهران والمرسى الكبير سنة 1119هـ/1708م، وتطور هذه العملية التي كانت بحسب رأيه همّا شعبيا وطلبا للسلطة العثمانية في عهد الداي محمد بكداش، إضافة إلى العوامل التي ساعدت على التحرير الأول لوهران، وسير عمليات التحرير، ودور كل من الباي مصطفى بوشلاغم، والداي محمد بكداش ووزيره حسن أوزن.

تعرض الباحث إلى الحملات الإسبانية التي تلت عملية التحرير، فتطرّق إلى حملة الكونت دي مونتماريا سنة 1732م، واستعادة إسبانيا لوهران والمرسى الكبير، وحملة أورييلي على مدينة الجزائر سنة 1775م، وهي أكبر حملة إسبانية تعرضت لها المدينة، وكيف تمكن الداي محمد عثمان باشا من إلحاق الهزيمة بالقوات الإسبانية، تلتها حملتان على مدينة الجزائر نفسها سنتي 1783 و1784م بقيادة الدون أنطونيو، وذلك بغرض الضغط على الجزائر وإرغامها على قبول معاهدة سلم بشروط إسبانية، بحسب ما بدا للباحث.

وأمّا ما تعلّق بالعلاقات الدبلوماسية، فقد عاد الباحث فيها للمحاولات الأولى، للتأسيس لعلاقات سلمية، قبل تنفيذ المعاهدة الأولى، ثم تعرّض لأول معاهدة سلمية بين البلدين سنة 1786م، بعد صراع دام أكثر من ثلاثة قرون، ومن أبرز ما أشار إليه الباحث أن هذه المعاهدة لم تشر إلى جلاء الإسبان عن وهران، ما

جعله ينهي بحثه بالتطرّق إلى التحرير النهائي لوهران والمرسى الكبير سنة 1792م، كما تعرّض الباحث إلى المعاهدة الجزائرية الإسبانية الثانية سنة 1791م، وهي المعاهدة التي استفادت بموجبها إسبانيا بامتيازات في الغرب الجزائري، تضاهي الامتيازات الفرنسية في الشرق الجزائري.

حاول الباحث في ختام بحثه، إبراز نقاط التماس والتقاطع في العلاقات بين الجزائر وإسبانيا، لتتمكن الجزائر في النهاية من تحرير المناطق التي احتلّتها إسبانيا.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث، أن الصراع الجزائري الإسباني في الفترة الحديثة تحكّمت فيه عوامل دينية في البداية بعد القضاء على آخر سلطة سياسية إسلامية في غرناطة سنة 1492.

يعدّ القرن الثامن عشر مرحلة هامّة في مسار العلاقات الجزائرية الإسبانية.

الحملات العسكرية لدول غرب أوربا المتوسطية على الجزائر (1145ه-1732م/1246ه-1830م)[5]

تعرض صاحب البحث

- البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 11ه/17م[6].

تعرض صاحب البحث

- علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا (فرنسا وإسبانيا) من (1096ه-1139ه/1659م-1727م)[7]

تعرض صاحب البحث

- الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر[8].

تناولت صاحبة الموضوع إشكالية تتعلق بالظروف التي عاشها الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر، مع إبراز الدور الذي لعبته هذه الفئة في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط الأوروبية في مقدمتها فرنسا وإسبانيا والدويلات الإيطالية، هذا إضافة إلى التعريف بأشهر الأسرى الأوروبيين الذين كانوا في مدينة الجزائر، على غرار دييقو دي هايدو الذي اقتيد أسيرا إلى الجزائر سنة 1578، وخلال تواجده بمدينة الجزائر تمكن من الاطلاع على أحوال سكانها،

ونظام الحكم في الجزائر، وتنظيمات الجيش فيها، وساعده كل ذلك في تأليف مؤلفه الشهير "طوبوغرافيا، وتاريخ الجزائر العام "، وكتاب " تاريخ ملوك الجزائر ". كما عرّفت صاحبة البحث بالأسير ميقال دي سارفنتاس أسير الرايس الشهير أرناؤوط مامي، وقد وقع سرفنتاس أسيرا بعد خروجه من نابولي على متن غليوطة، وكان ذلك يوم 26 سبتمبر 1575، أمضى ميقال خمسة سنوات في الأسر في مدينة الجزائر، قبل أن يقوم تنظيم الثالوث المقدس بافتدائه في سبتمبر 1580م. تفرّغ بعدها لكتابة الروايات التي كانت مواضيعها تدور حول سنوات أسره في مدينة الجزائر، ولعل من أشهرها رواية " دون كيشوت دي لا مانش ".

وفي ختام دراستها توصلت صاحبة هذه الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات لخصتها فيما يلي:

- أن ظاهرة القرصنة كانت سببا في وجود عدد كبير من الأسرى الأوربيين في الجزائر، وأنها رد فعل على ظاهرة القرصنة الأوروبية، واسترقاق المسلمين.

- كان للأسرى الأوروبيين في الجزائر، الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على التسامح الذي عرف به الجزائريون خلال تلك الفترة.

- كان الأسرى الأوروبيون سببا في توتر العلاقات بين الجزائر، فقد كان الهدف من وراء أغلب الحملات التي شنها الأوروبيون على الجزائر، معاقبتها على نشاط القرصنة، ولأجل تحرير الأسرى.

- أبرزت الباحثة مدى اهتمام الحكومات الأوروبية، بأسراها في الجزائر، عكس الأسرى الجزائريين في أوروبا، والذين لم يحظوا بمثل هذا الاهتمام.

- يبدو أن الباحثة اقتنعت بأن بعض جوانب هذا الموضوع لا تزال غامضة، وأنه بحاجة إلى دراسة وافية وشاملة.

- العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن الثامن عشر (18م)[9].

تعرض صاحب البحث

- العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1605م-1705م) سياسيا وتجاريا[10].

تعرض صاحب البحث

- دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوروبا خلال القرنين 10-11ه/16-17م[11].

تعرض صاحب البحث

- علاقات تونس مع دول أوروبا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782م إلى 1814م[12].

تعرض صاحب البحث

- نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية[13].

- البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519-1800م)[14].

تعرض صاحب البحث

- العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898-982ه/ 1494 -1574م)[15].

تعرض صاحب البحث

- دور الكنيسة الكاثوليكية وتنظيماتها في العلاقات بين الإيالات المغاربية ودول جنوب غرب أوروبا (إسبانيا، فرنسا، الدويلات الإيطالية) خلال القرنين 10-11ه/16-17م[16].

تعرض صاحب البحث

- علاقات الجزائر مع فرنسا (1070-1170 هـ/1659-1756م ـ)[17]

(بن سعيدان محمد)

استهلّ الباحث بحثه بالحديث عن الصراع بين ضفتي البحر المتوسط خلال الفترة الحديثة، وانطلاقا من الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك، جاء اختياره لموضوع مذكرته.

وأمّا الفترة موضوع الدراسة، أي من النصف الثاني للقرن السابع عشر إلى بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر، فقد ذكر أنها تميزت بتحولات وتغيرات جذرية بالنسبة للجزائر، ففيها بدأ الضعف يدبّ في هياكل البحرية الجزائرية، كما ضعف الارتباط بالدولة العثمانية أيضا، وهذا منذ قيام الجند الطائفة بالانقلاب على باشا الجزائر، وتجريده من صلاحياته، وإسنادها إلى واحد منهم في سنة 1659م.

كما تميزت الفترة موضوع البحث، ببروز شخصيات قوية على غرار الآغا شعبان (1072-1076هـ/1661-1665م) الذي تصدى لجيوش لويس الرابع عشر (1072-1128هـ/1661-1715)، والداي الحاج حسين ميزومورتو 1095-1100هـ/1683-1688م) الذي أعلن الحرب ضد فرنسا ورفض الاستسلام، رغم القصف الرهيب الذي تعرضت له مدينة الجزائر، والداي الحاج شعبان (1100-1107هـ/1688-1695م) الذي واجه بحزم وقوة محاولات التدخل التي قام بها سلطان المغرب مولاي إسماعيل، في الجهة الغربية من البلاد.

كما عرفت هذه الفترة زيادة في تنافس المؤسسات الفرنسية في الشرق الجزائري، وتوقيع معاهدات السلم والتجارة سنة 1705 و 1718م، وكذا المعاهدات الخاصة بالمؤسسات الإفريقية الفرنسية سنة 1695و1707و1714م، والتي حصلت بموجبها فرنسا على عدّة امتيازات.

ونظرا لأهمية موضوع العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر وفرنسا، فقد لخص الباحث دواعي اختيار هذا الموضوع فيما يلي:

- أن هذا البحث، يلقي الضوء على التطورات التي عرفتها العلاقات بين البلدين خلال فترة تأرجحت بين التوتر تارة والسلم تارة أخرى.
- أن هذه الفترة تميزت بظهور شخصيات سياسية، فاعلة في كل من الجزائر وفرنسا.
- أن الفترة موضوع الدراسة شهدت إبرام عدّة معاهدات واتفاقيات.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال ما تقدم، أن هذه العلاقات عرفت تطورات كبيرة خلال مرحلتين مختلفتين.

- الأولى وتمتد من 1070 إلى 1101هـ/1659-1689، وقد اتسمت بتناقضات كبيرة، خاصة بعد اعتلاء لويس الرابع عشر العرش في فرنسا،

فوطد سلطته، ومركزه، وقرر تصفية حساباته مع الجزائر، بشن حملات عسكرية ضدها، فكانت النتيجة أن توترت العلاقات، وكانت القطيعة، بعد أن باءت كل الحملات بالفشل، فاضطر إلى إبرام معاهدة سلم مع الجزائر سنة 1101هـ/1689م.

- أما المرحلة الثانية من العلاقات فامتدّت من سنة 1101 إلى 1170هـ-1689-1756م وتميزت بطي صفحة الحملات العسكرية، بإبرام معاهدة السلم المئوي التي فتحت صفحة جديدة في تاريخ العلاقات الجزائرية الفرنسية.

ومن مزايا السلم بين البلدين، على صعيد العلاقات التجارية، أن فرنسا حظيت على نقيض غيرها من الدول الأوروبية بامتيازات خاصة، تجسدت في المؤسسات الفرنسية في الشرق الجزائري، رغم منافسة الإنجليز، والهولنديين والجنويز.

وأمّا بالنسبة للجزائر، فإن مبادلاتها التجارية مع فرنسا، لم تساهم في تطوير البلاد، فكل ما جنته الحكومة الجزائرية هو المصدر المالي.

وبالنسبة للتجّار الجزائريين، فقد سجلوا حضورا بمرسيليا، وطولون في النصف الأول من القرن الثامن عشر، إلا أنهم كانوا يتعرّضون إلى مضايقات في الموانئ الأوروبية، ولا سيما في مرسيليا.

وعلى العموم فإن العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا لم تعرف نفس التقلبات التي عرفتها العلاقات السياسية.

- العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى وإسبانيا خلال القرن 11هـ/17م[18]. (جعني زينب)

شهد المغرب الأقصى في بداية القرن السابع عشر اضطرابات سياسية، بسبب صراع أبناء المنصور على الحكم بعد وفاته سنة 1603، فترتب على إثر ذلك، تراجع لسلطة السعديين، وظهور قوى سياسية جديدة ساهمت في تفكك وحدة المغرب الأقصى، ثمّ قيام الدولة العلوية في النصف الثاني من القرن السابع عشر.

. حاولت صاحبة البحث، من خلال هذه الدراسة التعرض إلى الأحداث التي عرفها كل من المغرب الأقصى وإسبانيا خلال القرن 11ه/17م، منها احتلال إسبانيا للثغور المغربية، وردود الفعل التي ترتبت على هذا الاحتلال، إضافة إلى النشاط الدبلوماسي بينهما، وكذلك ظاهرة القرصنة، وقضية الأسرى.

توصلت الباحثة، في ختام دراستها إلى أن العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى إسبانيا خلال الفترة المذكورة سابقا، تأرجحت بين السلم تارة والحرب تارة أخرى، كما اتبع المغرب وخاصة في فترة حكم محمد الشيخ، وابنه عبد الله

- نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 17م /11هـ (1604-1659م/1013-1070هـ)[19]. (لكحل الشيخ)

حاول الباحث من خلال بحثه المتعلّق بنشاط وكالة الباستيون، أن يبرز الطرق والسبل التي سلكها الفرنسيون من أجل تثبيت أقدامهم في الجزائر، وهذا منذ توقيع سليمان القانوني على معاهدة الامتيازات، سنة 1536، وذلك من خلال الحصول على امتياز صيد المرجان على سواحلها الشرقية. وقد استأثر المرسيليون بهذا الامتياز، وأسسوا من خلاله أولى الشركات التجارية الفرنسية في الجزائر، ألا وهي وكالة الباستيون.

تناول الباحث نشاط هذه الوكالة بالدراسة، لمعرفة الدور الحقيقي الذي كانت تلعبه كبرى الوكالات التجارية الفرنسية في الفترة الذكورة آنفا، وأمّا تركيزه على النصف الأول من القرن السابع عشر، فأرجعه لكون الجزائر كانت حينها في أوج قوتها، بفضل تطور بحريتها. وهذا ما أكسبها -بحسب رأيه- ثقة وشجاعة في مواجهة أوامر السلطان العثماني، خاصة ما تعلق منها بحليفه الفرنسي.

وأما فيما يخص المعلم الزمني الأول، فهو أن سنة 1604 شهدت تجديد معاهدة الامتيازات والتي نصّت بشكل صريح على المراكز التجارية الفرنسية في شرق الجزائر، وفيها أيضا قام الجزائريون بتهديم وكالة الباستيون منهيين بذلك عهدا مزدهرا من نشاط هذه الوكالة، مما شكّل بداية لتوتر العلاقات بين البلدين.

أمّا المعلم الثاني، أي سنة 1659، فهو يمثل السنة التي حدثت فيها ثورة الجند في الجزائر، ونجاحهم في إزاحة الباشوات المعينين من قبل السلطان العثماني عن

السلطة في الجزائر، مما شكّل سابقة في تاريخ علاقة الجزائر بالسلطنة العثمانية، الحليف الأكبر للدولة الفرنسية، مما سيؤثر على سير العلاقات الجزائرية الفرنسية، بعد ذلك.

أعتقد أن الباحث اقتنع بأن العامل التجاري والاقتصادي كان المؤثر الأبرز في العلاقات الجزائرية الفرنسية، وربما كان أيضا الموجّه الرئيسي لتلك العلاقات التي تقلّبت بين أجواء السلام وأتون الحرب، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر.

توصل صاحب البحث إلى استخلاص بعض النتائج لخصها كما يلي:

- أن وكالة الباستيون، التي أسست سنة 1561م/968هـ، تعتبر أولى الشركات التجارية الفرنسية التي احتكرت صيد المرجان والتجارة مع الجزائر طيلة النصف الأول من القرن السابع عشر.

- أنّ نشاط هذه الوكالة قد عرف تراجعا كبيرا خلال الربع الأول من القرن السابع، بعد قيام الجزائريين بتهديمها سنة 1012هـ/1604م، بسبب تجاوزها في تصدير كميات من القمح.

- حرصت فرنسا على إعادة تأهيل وكالة الباستيون، سالكة في سبيل ذلك التدخل العثماني حينا، والتهديد العسكري حينا آخر.

- اضطرت فرنسا للتفاوض المباشر مع الجزائر. وقد أثمر ذلك عقد أول معاهدة سلام بين البلدين سنة 1027هـ/1619م.

- اضطر الفرنسيون للإذعان لكل شروط الجزائريين، بعد الضرر الذي لحق بالاقتصاد الفرنسي حينها سمح الجزائريون بإعادة بناء الباستيون، بعد عقد معاهدة سلام وتجارة سنة 1037هـ/1628م.

- شهد نشاط وكالة الباستيون، خلال الربع الثاني من القرن السابع عشر، نموا وازدهارا بعد عقد معاهدة 1037هـ/1628م

- عملت وكالة الباستيون، خلال عهد نابلون « Sanson Napollon» على توريد كميات كبيرة من القمح الجزائري نحو فرنسا، رغم أنه من المواد الغير مسموح بتصديرها. وقد كان حكام الجزائر يغضّون الطرف عن ذلك، بسبب صداقتهم لنابلون، هذا الأخير قدم إلى الجزائر في 26 جوان 1626م

كمبعوث شخصي للملك الفرنسي، وقد تمكّن من عقد صلح مع الجزائر في سنة 1628م.

– لقد نحت العلاقات السياسية بين البلدين، خلال أغلب فترات الربع الثاني من القرن السابع عشر، نحو الهدوء والسلام، وكان لوكلاء الباستيون الدور الرئيسي في تثبيت هذا الوضع.

– لقد كان لاحتكارات الباستيون خلال الفترة ذاتها، أثر على العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا؛ إذ نشطت المبادلات التجارية بين البلدين، وإن كان أغلبها يتمّ في اتجاه واحد، بسبب العراقيل والعقبات التي كان الفرنسيون يضعونها في وجه التجّار الجزائريين.

– ومن أبرز التداعيات أن وضع وكالة الباستيون كان مؤثرا على سياسة فرنسا تجاه الجزائر، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، فحين يعمد الجزائريون إلى تعطيل هذه الوكالة يبرز التيار الديني المتشدد المسيطر على دواليب البلاط الفرنسي، ليعارض أي تقارب مع الجزائر، وحين تنشط هذه الوكالة ويزداد إنتاجها، يطفو إلى السطح تيار الداعين إلى السلام من التجار الذين يرون فيه أفضل ظرف لإنعاش تجارتهم، والنهوض باقتصاد بلاد.

– الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا (1117-1197 ه/1705-1782 مـ)[20]. (صنديد ياسين)

– العلاقات الاقتصادية للمغرب الأقصى مع دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[21]. (داودي داود)

الهوامش :

---

[1]- علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: الشافعي درويش، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، المشرف المساعد د. صاخ بوسليم، السنة الجامعية 1431-1432هـ/2010-2011م.

[2] العلاقات السياسية بين الجزائر وإسبانيا (1200ه-1786مـ/1245ه-1830م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: امحمد بن موفقي، إشراف الأستاذ الدكتور حساني مختار، السنة الجامعية 1431-1432هـ/2010-2011م.

[3] معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات مع دول غرب أوروبا –البرتغال-إسبانيا-فرنسا (986ه1578م/1012ه-1603م) .

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: جلول بن قومار، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، المشرف المساعد د. صالح بوسليم، السنة الجامعية 1431-1432هـ/2010-2011م.

[4] العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر هجري/الثامن عشر ميلادي (1119-1206هـ/1708-1792م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: محمد السعيد بوبكر، إشراف الأستاذ الدكتور حساني مختار، السنة الجامعية 1431-1432هـ/2010-2011م.

[5] الحملات العسكرية لدول غرب أوربا المتوسطية على الجزائر (1145ه-1732م/1246ه-1830م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: بوحفص تجاحنة، إشراف الأستاذ الدكتور حساني مختار، السنة الجامعية 1431-1432هـ/2010-2011م.

[6] البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 11ه/17م.

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: جمال سهيل، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، السنة الجامعية 1431-1432هـ/2010-2011م.

[7] علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوربا (فرنسا وإسبانيا) من (1096ه-1139ه/1659م-1727م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: عمر بن قايد، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، المشرف المساعد د. صالح بوسليم، السنة الجامعية 1431-1432هـ/2010-2011م.

[8] الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر.

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالبة: محمـــــة عائشة، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[9] العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن الثامن عشر (17م).

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالبة: مليكة الشيخ، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، المشرف المساعد د. صالح بوسليم، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[10] العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1605م-1705م).

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالبة: خرنق ميروكة، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، المشرف المساعد د. صالح بوسليم، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[11] دور الأعلاج في العلاقات بين الجزائر ودول جنوب غرب أوروبا خلال القرنين 10-11هـ/16-17م.

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالبة: جميلة ثابت، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، المشرف المساعد د. صالح بوسليم، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[12] علاقات تونس مع دول أوروبا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782م إلى 1814م. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: كمال مايدي، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، المشرف المساعد د. صالح بوسليم، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[13] نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية.

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: عطلي محمد الأمين، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[14] البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519-1800م).

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: حمزة إسحاق زينوبي، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[15] العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898-982ه/1494-1574م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالبة: رحيمة بيشي، إشراف الدكتور شكيب بن حفري، المشرف المساعد د. إبراهيم سعيود، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[16] دور الكنيسة الكاثوليكية وتنظيماتها في العلاقات بين الإيالات المغاربية ودول جنوب غرب أوروبا (إسبانيا، فرنسا، الدويلات الإيطالية) خلال القرنين 10-11ه/16-17م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: محمد شرعي بن معيزة، إشراف الأستاذ الدكتور مختار حساني، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[17] علاقات السياسية الجزائر مع فرنسا (1070-1170هـ/1659-1756م. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: بن سعيدان محمد، إشراف الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، والمشرف المساعد الدكتور صالح بوسليم، السنة الجامعية 1432-1433هـ/2011-2012م.

[18] العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى وإسبانيا خلال القرن 11هـ/17م. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالبة: جعني زينب، إشراف الدكتور إبراهيم سعيود، السنة الجامعية 1433-1434هـ/2012-2013م.

[19] نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 17م /11هـ (1604-1659م/1013-1070هـ)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: لكحل الشيخ، إشراف الدكتور إبراهيم سعيود ، السنة الجامعية 1433-1434هـ/2012-2013م.

[20] الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا (1117-1197هـ/1705-1782م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: صنديد ياسين، إشراف الدكتور إبراهيم سعيود ، السنة الجامعية 1433-1434هـ/2012-2013م.

[21] العلاقات الاقتصادية للمغرب الأقصى مع دول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، مقدمة من طرف الطالب: داودي داود، إشراف الدكتور إبراهيم سعيود ، السنة الجامعية 1433-1434هـ/2012-2013م.